

كفى تصحّرٌ يا أوادم!..

لا يزال مسؤولون لا يَسْألون وحتى لا يُسْألون، يدوسون كرامة الشعب من أجل منصب أو حفنة من الدولارات.

استذوقوا طعم الدناوة والانحطاط واستهينوا بالذمم. ارتضوا المذلة واللؤم وما إليهما. وجدوا حتى الساعة مَن رضي بأن يبخّر الأصنام ويمدحها في حين ان المدح في بلاد النّاس من سقط الشيم!

سياساتهم لا تزال تنبثق، بعكس المصطلح في اللغات الأجنبية، من فعل ترويض كل كائن حيّ.

وخطيئة الغفلة أو المصلحة الآنية، معصية كالارتكاب، حتى عبر بعض الأقنية الإعلامية المغرضَة والمرتَهَنة. فمتى يستيقظ النائمون أو «المتناومون»؟ هل ضرب قلبهم؟ هل بعض شعبنا مرجعٌ خلاصه؟ المرجعُ لا يؤمن بنجاته اليوم، وهذا كفرٌ، فهل ترانا نفرغ الزمان الحاضر من وجه الله فيما نتحدّث باسمه؟

حسبنا نحن الجامعيين وسائر الشرفاء العقلاء ان الارشاد والتوجيه والقلم المبدع النزيه هي ما نشكو إليه هموم النّاس. علينا أن نثور كالبركان نقذف بحممنا، لأن نذرنا للجهاد لا نرهب فيه أيّ خطب.

الكذب تحكّم في معظم «الكبار» قبل «الصغار» فراحوا يلهثون وراء المال الحرام وتسنّم المراتب ولو تبيّنت جوفاء رعناء. أغلقوا على أنفسهم بعدما أوصدوا الباب. يحدّق أحدهم بالآخر فيجسّدون قول الفيلسوف الوجودي سارتر «الآخر هو الجحيم»، ولكنهم ينسون ان الاختناق زاحف لا محالة وسيودي بالجميع، وقد يصيبهم قبل سواهم أو دون سواهم فننساهم كما ننسى الكابوس!

وها هم قد التأموا البارحة رغم أنفهم أمام رئيس أجنبي يصغرهم سنّاً ليملي عليهم بديهيات العمل الوطني العام.

فكفى استلذاذ بالدم وانتفاخ طوائفي وقهر للإنسان الطيب الوديع حتى العدم الوجودي بل الكياني!

هل تراهم يتعتقون آخيراً من تصحّرهم الذهني الذي أفضى قبل سواه إلى ما نحن فيه من نكبة إنسانية وبيئية قلّ نظيرها؟!!

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه